

بسم الله الرحمن الرحيم

منتدى الرواية

المنصة الرقمية لمناقشة الروايات السودانية

الندوة رقم (5)

السبت ٢٥ يوليو ٢٠٢٠م

مناقشة رواية (فريج المر) للروائي حامد الناظر

المكان والزمان والرؤية السردية في

رواية فريج المر لحامد الناظر

أ.د عبد الغفار الحسن محمد

مدخل:

رواية فريج المرر للكاتب الروائي السوداني حامد الناظر تمثل دفقة مترعة من الجمال والسرد المدهش واللغة الباذخة والعوالم ذات الخصوصية، يقودنا إليها عبر لغة سهلة ممتعة، وقد جمعت في هيكلها بين الوصف والسرد والحوار؛ لتتخذ بذلك دلالات جديدة تكسر النمط السردى التقليدي وتضاهي الأشكال الروائية الحديثة. في المستويين الجمالي والمعرفي.

تتألف الرواية من ثمانية فصول تقع في 304 صفحة. وقد جاء عنوانها ملفتا ومثيرا للقاري كي يكتشف دلالاته، إذ أن كلمة فريج لا تسعفنا بها ذاكرتنا اللغوية، وكذلك الاسم المضاف إليها (المرر) فالعنوان يمثل التحدي الأول أمام القارئ، حتى إذا ما اكتشف أن كلمة فريج هي كلمة فريج جاءت باللهجة الإماراتية التي تبدل القاف جيما، ومن ثم تعادل معنى كلمة حي سكني، أما كلمة المرر فهي اسم القبائل العربية التي تسكن هذا الحي بمعنى حي قبائل المرر. فيتحول مع هذا الاكتشاف ذهن القارئ إلى (المكان) فريج المرر: ما قصته؟ ما حكاياته؟ وما هدف الروائي للوقوف بنا عند هذا المكان بالذات في مدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة؟ فينطبع في ذهنه من الوهلة الأولى أن الرواية رواية مكان تحتفي بالمكان وما فيه من شخوص وحيوات.

ثم يستهل الرواية بإهداء موح برسالة الرواية وهي: البحث عن السلام والحب والاستقرار، وهو ما ينقص عالمنا الواقعي الذي نعيشه، والذي يفسر تناقضات هذا السوق سوق فريج المرر، فكل الذين أتت بهم الأقدار إليه إنما هم يبحثون عن السلام والحب والمال في الأصل. يقول الكاتب

في الإهداء: " ...إلى الباحثين عن السلام والطمانينة في هذا العالم الواسع. منكم جميعا أستمد ثقتي بنفسي وقدرتي على الحب ورغبتني في الحياة"(الرواية ص8).

وقد جاءت الرواية في ثمانية فصول تحمل العناوين التالية: الدخول، الفتاة الأرجوانية، أستير، مجنون ليلي، حكايات الفريج، الهروب، أرض البن، الخروج.

وإذا كان القارئ لا يمكنه الولوج إلى عالم النص إلا بالوقوف عند عتباته وتأملها، فقد رأينا أن الكاتب قد منح كل فصل من فصوله اسما معيناً يشير إلى شخصية مركزية أو حدث أو مكان، ثم تلى هذا الاسم باقتباس من إحدى الشخصيات في داخل النص، هذا الاقتباس عادة ما يمثل بؤرة النص أو الفكرة أو الرؤية التي يريد أن يوصلها الكاتب، ومن ثم فقد جاءت اقتباساته تحمل مضامين عميقة حول الحياة والناس وطبائعهم وأخلاقهم.

إن عالم هذه الرواية هو عالم خاص يعبر عن ثقافات متنوعة لمرتادي هذا السوق الذي يمثل قاع المدينة، ومن خلال الحكى والوصف معا استطاع الكاتب أن يكشف عن أنظمة ثقافية مضمرة تشير إلى التحولات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسلوكية في مجتمع الرواية الذي يمثل الثقافة الأثيوبية بدرجة أكبر والثقافة السودانية بدرجة قليلة وكذلك الثقافة الخليجية بدرجة أقل، وقد ركز الكاتب على إبراز معاناة المرأة الأثيوبية من خلال حكايات النص ورسم صورة جلية للأنساق الثقافية المضمرة المتعلقة بتحويلات المجتمع الأثيوبي وما تعانيه المرأة الأثيوبية بوجه خاص من معاناة وأعباء مميتة من أجل أسرتها، تمثلت في سلوكها في سوق الفريج كنادلة أو كبائعة هوى، يتخفى وراء جمالها وأنوثتها وابتساماتها عالم عريض من القهر والألم والحرمان والعذابات. وقد

استطاع الكاتب أن يقودنا من خلال وصفه الدقيق ومن خلال بوح بعض هذه الشخصيات المنتقاة إلى طبيعة المعاناة التي يواجهها المغترب في سوق العمل الخليجي، وأن يزيح لدينا الانطباع السالب عن المرأة الحبشية ووضعا دائما في خانة المتهم والمجرم، كما استطاع أن يجعلنا أكثر تعاطفا معها، وكشف عن حاجة عالمنا إلى الحب باعتباره الشيء الوحيد القادر على تجسير الهوة بين السلوك، وحقيقة الإنسان وطموحاته وأماله.

تجدد الإشارة إلى أن هذه الرواية قد لفتت العديد من النقاد الذين أعجبوا بها وكتبوا عنها وطلوها بشكل جيد من عدة مداخل منهم على سبيل المثال: **صلاح محمد الحسن القويضي** في مقال بعنوان: تداعيات حول رواية فريج المرر و**عصام أبو القاسم** في مقال بعنوان فريج المرر رواية للسوداني حامد الناظر بجريدة الاتحاد 2014م و**فياز علام** بعنوان مراجعة لرواية فريج المرر في مايو 2016م و**مهند رحمة الدابي** بعنوان فريج المرر لحامد الناظر بمجلة جرس الإلكترونية العدد الثالث 2020م.

المكان والزمان والرؤية السردية:

اعتمدت هذه الرواية في بنائها السردية على عناصر الزمان والمكان والشخصيات والأحداث، وقد اعتمدت في بناء ذلك على تقنيات حديثة بعضها يرتبط بالمكان والشخصيات مثل الوقفة الوصفية، وبعضها يرتبط بالزمن ومن أهم تقنيات الزمن: الاستباق والاسترجاع، وتقنية المشهد/الحوار والوقفة الوصفية وتقنيتي الخلاصة والحذف والقطع. وبعضها يرتبط ببناء الشخصية وهي تقنية: الرؤية السردية أو (التبئير).

المكان في الرواية:

يحتل المكان في هذه الرواية أهمية خاصة في تشكيل العلم الروائي ورسم أبعاده، ذلك ان المكان هو المرأة التي انعكست على سطحها صور الشخصيات وتكشف من خلالها بعدها الاجتماعي والنفسي. إنه يسهم في رسمها بمظاهرها الجسدية ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها. ويعتبر سوق فريج المرر البيئة المكانية التي أسهمت في تحديد هوية المنتسبين إليه، ومن هنا كانت العناية به واضحة لدرجة أصبح عنوانا للرواية نفسها.

ويعتبر المكان العنصر الأهم والأبرز. وتأتي أهميته لأن الرواية بنيت على مجالس الراوي (البطل) مع الشخصيات في المكان الرئيس (سوق فريج المرر) ثم المجالس التي أقيمت في أماكن أخرى مثل غرفة البطل، شاطئ البحر، أديس أبابا في عدة أماكن،...إلخ.

ولعل الكاتب في اختيار الناظر لسوق فريج المرر كمكان يهدف من خلاله إلى الدلالة التعبيرية الكامنة وراء هذا المكان التي لا تتوقف عند حده الجغرافي وإنما تتجاوزه للشخصيات داخل المكان والتي ارتبط وجودها بهذا المكان بالذات وكأنها جزء منه بل تمثل حقيقة هذا المكان فكلاهما المكان والشخصيات يحملان تعبيراً خاصاً يحدد هوية المكان وسمته. وكذلك دلالاته الوظيفية، ولعل من أهم وظائف المكان في رواية فريج المرر :

***إبراز مشاعر الشخصيات الروائية:** وينهض المكان بإنجاز هذه الوظيفة حين يشكل المكان وما فيه حياة وطبيعة عمل دافعا للشخصية لكي تبوح بمشاعرها وما يجول في دواخلها، وقد رأينا كيف هي الصورة الخارجية للفتاة الأرجوانية وما شكلته من انطباع ومشاعر من النظرة

الأولى لها من قبل الراوي، دفعها فيما بعد للبوح عن حقيقة مشاعرها كنوع من الدفاع عن النفس حتى لا تظل في ذهن الراوي مجرد امرأة عاهرة فحسب. وكذلك بقية الشخصيات أستير وتيدي وليلى وحمد المري.

***المساعدة على نشوء علاقة بين الشخصيات:** ولعل سوق فريج المرر هو المكان الذي جمع الراوي بشخصياته وربطه بهم، ولولا هذا السوق ذو الخصوصية في طبيعته وشخصياته، ربما قدم لنا الكاتب مكانا آخر يعبر مثلا عن حياة أهل الإمارات ثقافتهم، وموروثاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، ولكن سوق الفريج هو الذي أظّر لهذه العلاقة بين الراوي ومجتمع هذا السوق ذي النكهة الأفريقية، والشخصيات ذات الخصوصية.

الزمن في الرواية:

لم يعد الزمن ذلك الخيط الوهمي الذي يربط بين الأحداث، بل أصبح أعظم من ذلك بكثير فقد أولاه الكاتب عناية خاصة وأهمية كبرى حتى أضى عمودها الفقري الذي يشد أجزاءها كما هو محور الحياة ونسيجها.

وقد جاء الزمن محوريا في هذه الرواية وعليه تترتب عناصر التشويق من خلال الثنائية القائمة في كل شخصية من شخصياته التي فعل بها الزمن تحولات جوهرية. فكل شخصياته مشدودة للماضي الذي يؤثر على حاضرها، ومن ثم يجعلها تبدو متناقضة ومرتبكة.

وقد استطاع الكاتب بناء نظامه الزمني على المفارقة الزمنية التي تستوجب تكسير خطية زمن السرد بالعودة للماضي أو استشراف المستقبل. وعليه فقد وظف الكاتب أهم التقنيات المرتبطة بالمفارقات الزمنية وهي تقنيتي الاسترجاع والاستباق:

تقنية الاستباق / الاستشراق: وهذه التقنية تهيء القارئ لتقبل شخصية يرد اسمها فقط مرتبط بموقف معين، ثم يأتي التعرف على هذه الشخصية فيما بعد وقد استخدم هذه التقنية في كل الشخصيات الأساسية التي ذكرها في الفصل الأول عرضيا ثم مثل أيلسا وأستير ومجنون ليلي وحمد المري. ثم فصل حكاياتهم في فصول لاحقة.

من الاستباقات الزمنية أيضا العناوين باعتبارها تقدم رؤية ومضمون النص بصورة إشارية. وكذلك الاستهلال الذي تضمن ما يسعى الكاتب إلى طرحه من رؤية للعالم تتميز بالسلام والحب والاستقرار وهي ما يريد أن يوصله للقارئ في نهاية سرده.

كذلك من الاستباقات في هذه الرواية تلك الاقتباسات التي تقدمت الفصول، وهي مأخوذة من المتن ووردت في سياقه فيما بعد، إلا أن الكاتب عندما قدمها شكل بذلك استباقا يلخص الرؤية التي يدور حولها الفصل المعين. ولعل كل الفصول الثمانية في هذه الرواية احتوت على اقتباسات تعد من قبيل الاستباقات؛ لأنها تقدمت زمنيا على زمن الخطاب داخل النص.

تقنية الاسترجاع: أما تقنية الاسترجاع فتعد بمثابة ذاكرة النص؛ كونها تحكي عن أحداث سابقة يكون مقصدها ملء الفجوات التي خلفها السارد وراءه، فقد أفاد الناظر من هذه التقنية بصورة أساسية في هذه الرواية، إذ كان لا بد منها في هذا النوع من الحكمة السردية التي يقدم فيها الراوي شخصياته، ويصفها وصفا خارجيا دالا على سميتها وهيئتها الراهنة فقط، ولكنه حينما يقترب من هذه الشخصية ويدخل معها في حوار تبدأ في الكشف عن ماضيها، فأيلسا التي عرّفنا عليها كعاهرة في سوق

الفريخ؛ تأتي للراوي في غرفته الخاصة؛ لتحكى حكايتها عندما كانت طالبة في جامعة أديس أبابا، وحكاية اغتصاب زوج أمها لها بشكل متكرر، ومرض أمها الذي دفعها للهجرة لهذا المكان؛ بحثا عن المال الذي تعالج به أمها؛ ثم العمل طائفة في البغاء طالما أنها مارسته عشرات المرات مكرهة، إما مع زوج أمها أو مع كفيها الذي كانت تعمل عنده كخادمة. وهكذا تفتح الشخصية (إيلسا) كوة على تاريخها وماضيها؛ ليتعرف الراوي عن طريق هذه التقنية (الاسترجاع) على هذا الوضع المأساوي من حياة إيلسا مما يجعله أكثر تعاطفا معها فيما بعد. ومما يحقق نوعا من الربط بين واقع الشخصية والظروف التاريخية السابقة التي أفرزت هذا الواقع.

وبهذه التقنية والطريقة قدم لنا كل شخصياته، فأولاً؛ يقدمها من الخارج؛ لأنه لا يعرف عنها شيئاً، ثم تتولى الشخصية الكشف عن نفسها بطريقة الاسترجاع كما فعلت أستير ومجنون ليلي وتيدي وحمد المري وعباس...

هذا وترتبط بالزمن تقنيات أخرى مهمتها تسريع السرد أو إبطاؤه ، ومن تقنيات تسريع السرد التي استخدمها الناظر **الخلاصة أو المجلد، والحذف أو القطع:**

الخلاصة: تعني إيجاز الأحداث وتلخيصها، أي عرض الأحداث التي تقع في مدة زمنية طويلة في مقاطع سردية مختصرة كحكاية عباس للراوي عن أصله وأن والده كان من الرقيق ثم أعتقه سيده وورثه أملاكه التي آلت بعد موته له فالزمن الحقيقي لهذه الأحداث طويل جدا ولكن الكاتب عبر عنه بطريقة سردية مختصرة، وكذلك حياة الراوي الطيب قبل وصوله لدبي وعلاقته بأسرته وعلاقته بالمرأة. كل ذلك قدمه السارد بطريقة مختصرة لا تعادل الزمن الحقيقي لهذه الحكايات. **الحذف:** أما تقنية الحذف أو

القطع , فتعني الحركة الزمنية التي يكتفي بها الراوي لإخبارنا بسنوات مرت أو شهور من عمر الشخصيات من دون أن يخبر عن تفاصيل الفترة المحذوفة. ولعل تقسيم الكاتب للفصول إلى عدة حكايات تفصل بينها أرقام تتيح للكاتب حذف وقطع فترة من حياة الشخصية التي عندما يعود إليها بعد فترة زمنية يواصل في حكايتها من غير الرجوع إلى الوراء. وقد رأينا كيف أن الناظر يقدم الشخصية تدريجياً وفي مراحل زمنية متفرقة من زمن السرد. ولعل هذا كله يسهم في تسريع وتيرة السرد.

أما التقنيات التي ترتبط بإبطاء السرد فهي:

المشهد/الحوار, والوقفة الوصفية:

المشهد/ الحوار: وقد أبدع الناظر في توظيف هذه التقنية وأولها عناية خاصة, لما تمتلكه هذه التقنية من وظيفة درامية تعمل على كسر رتابة السرد. فقد جعل الناظر من الراوي راويًا غير عليم بماضي شخصياته وحقيقتها, وقد قابل معظم هذه الشخصيات بسوق فريج المرر, وقد استغل الحوار؛ ليتمكن الشخصيات من الحوار مع الراوي, أو فيما بينها لتكشف عن رؤيتها من خلال تعبيرها المباشر عن نفسها بلغتها وبلهجتها المحرفة في بعض الأحيان. فتعكس وجهة نظرها من خلال حوارها مع الراوي أو مع الآخرين.

أما **الوقفة الوصفية** وتسمى أيضا **بالاستراحة** فقد اعتمد عليها الناظر بشكل لافت في هذه الرواية باعتبار أنها رواية مكان وشخص. فعادة ما يكسر الراوي خطية السرد بالتوقف عند زاوية معينة, فيصف مكاناً أو شخصية. ويكون فيها زمن السرد أكبر من زمن الحكاية.

وقد اقترن الوصف منذ البداية بتناول الأشياء في أحوالها وهيئاتها, كما هي في العالم الخارجي وتقديمها

في صور أمينة تعكس المشهد وتحرص كل الحرص على نقله كما هو، وهذا يقودنا للحديث عن مفهوم الوصف عند النقاد المحدثين، وكيف تطور نحو نقلة نوعية متميزة، يسعى من خلالها الواصف إلى إضفاء لمسة جمالية ذات إحساس ومشاعر تعبر عن أهمية ذلك الموصوف، وما يثيره من مشاعر حينما يصفه الواصف، وهل هي مشاعر حب أم كراهية تجاه ما يصفه؟

وإذا نظرنا في رواية "فريج المرر" نجدها تميزت بوصف العالم الخارجي (المكان/الزمان/الشخصيات) وتقديهما بصورة أمينة، كأنما يحمل الكاتب كاميرا تصور المشهد ومن ثم تقوم اللغة مقام الكاميرا. وما يميز لغة حامد الناظر تلك الشعرية في الوصف التي حققت جماليته وعمقت دلالاته. ولنقف على بعض الأمثلة من الرواية في وصف المكان؛ لنتبين مدى قدرة الكاتب على رسم صورة دقيقة ملونة بالمشاعر: يقول واصفا مدينة دبي وقد أطل عليها من نافذة الطائرة:

"بدت لي من النافذة مثل قطعة إلكترونية دقيقة المسارات والأجزاء، وضعت بعناية في الحد الفاصل بين البحر والصحراء" (الرواية ص20).

- مبنى المطار من نافذة الطائرة مثل أنبوب رمادي عملاق. (الرواية ص20).

وقد وصف سوق فريج المرر وصفاً جمالياً مجازياً بقوله:

"هكذا رأيت سوق فريج مرر مثل كوكب غريب يدور متمرداً في فلك خاص خارج أسوار الزمن منفصلاً عنه بطريقة ما يوفر لقاصديه عوالم متجددة كل يوم".

ثم وصفه وصفاً سينمائياً دقيقاً حتى لكأننا في عين المكان بقوله: "مقاهي أثيوبية وأريتيرية مترابطة على

جوانب الأزقة والممرات تنبعث من جوفها أدخنة الإرجيلة
النافذة مصحوبة بموسيقى حبشية صاخبة وزبائن بملامح
أفريقية، يتسكعون داخل وخارج المقاهي، فتيات بسراويل
محزقة على الأرصفة وأبواب المقاهي يستجدين المارة ...
إتفدل..

إتفدل يا زول."

أما **وصف الزمن** فقد أبدع فيه الناظر حين وصفه
بصورة غاية الشعرية والجمال والتأثير فقال: "الزمن في
هذا المكان كائن غريب يبدو كما لو أنه شيء طارئ خيط
مشدود فوق هاوية سحيقة، لن يلبث أن ينكمش على
نفسه مثلما تنكمش أفعى إلى جحرها فجأة وتغيب إلى
الأبد" (الرواية ص23).

أما **الشخصيات** فأغلبها قدمها الراوي من الخارج واصفا
لها وصفا ينم عن طبيعتها وهئيتها، ويمكنك من تخيل
تفاصيلها وعوالمها. ومن ذلك وصفه لشخصية عباس أول
شخصية استقبلته في دبي وتعرف عليها وصفه من
الخارج بقوله: "يتحدث بصوت عال، يحرك يديه الطويلتين في
الهواء ورأسه بحدّة، يرسم انفعالات مختلفة على تقاطيع
وجهه حين يتحدث، يتوقف عن السير أحيانا ليقول شيئا ما
بطريقة تمثيلية أو ليلفت انتباهي أكثر." (الرواية ص 26)

ومثال الوصف الدقيق والشاعري والمعبر عن إحساس
الراوي هذا الوصف للنادلة التي قدمت له القهوة: "جثت
على ركبتها ثم انحنت أمامي لتضع فنجان القهوة، رأيت
الشق الذي يفصل بين نهدتها فطار عقلي، ثم تدلى
صدرها الممتلئ يزاحم بعضه على الفتحة الضيقة في
أعلى كنزتها السوداء، حتى كاد أن يفلت؛ ليقع على حجري
تهيات لأتلقفه بيدي، وهي لا تبالي..".

والحق أن الكاتب في هذه الرواية استخدم هذه التقنية بشكل مكثف حتى أننا لا نستطيع رصد كل المشاهد الوصفية في هذه العجالة، ولكنها تصلح عنواناً لدراسة مستقلة لا بد منها؛ لقيمة هذا النوع من الوصف الذي يعتمد على لغة شعرية وصور مجازية آسرة تحقق إشباعاً جمالياً وثراءً دلاليًا. هذا غير وظيفتها في إبطاء السرد.

-الرؤية السردية(التبئير):

إن مقولات الرؤية السردية ومصطلحاتها كانت في مجملها تتوسل معرفة آلية السرد وأنماطها عن طريق معرفة موقع الراوي في المبنى الحكائي، وتحديد علاقته الداخلية مع عناصر الرواية (الشخصيات والمكان والزمان) وعلاقته الخفية مع المؤلف الذي يختبئ وراءه.

تعرف الرؤية بأنها "مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحة"، إذ "يتم وفقاً لها عرض الوقائع والمواقف"، وتعد الزاوية التي يفتح منها إشعاع النظر باتجاه المرئي.

ومع **جيرار جينيت** ظهر مصطلح (التبئير) الذي يستعمله تماشياً مع مصطلح (رؤية) و(حقل) و(وجهة النظر)، إذ إن هذه المصطلحات - كما يرى جينيت - فيها "مضمون مفرد الخصومية".

ويشير **جينيت** إلى أن كل حكي يتضمن بالضرورة جزءاً من تشخيص الأفعال والوقائع والذي يعنى بالسرد Narration وجزءاً يهتم بتشخيص الأشياء والشخصيات والذي يعنى بالوصف Description وقد حظي السرد باهتمام نقدي مهم نظر كونه يشكل منطق القوة في تحقيق الفعل الروائي.

والمنظور أو التبئير الذي يقسمه جينيت إلى داخلي وخارجي، حيث يقدم لنا التبئير بنوعيه الشخصيات الروائية

بما فيها الراوي. وكما يرى **هامون**: " أن أساس الرواية الجيدة هو خلق الشخصية وليس شيئاً آخر". والشخصية ليست هي الشخصية الإنسانية وإنما هي مجموعة من المفاهيم يمكنها أن تكون شخصيات تتلاءم مع طبيعة النصوص الروائية وسياقاتها السردية. وقد أشار **هامون** إلى دور القارئ في إعادة بناء الشخصية.

أما **بارت** فقد عرف الشخصية بأنها كائنات من ورق تتخذ شكلاً دالاً من خلال اللغة، وأنها نتاج عمل تأليفي فهي ليست كائناً جاهزاً ولا ذاتاً نفسية، بل هي وحسب التحليل البنيوي بمنزلة دليل، له وجهان: دال ومدلول.

وعليه فقد قامت تقنية الرؤية السردية للعمل على بناء الشخصيات وموقف كل من الراوي والمؤلف منهما.

وينقسم التبئير إلى نوعين داخلي وخارجي، والتبئير الداخلي هو ما يقدم لنا الأحداث مباشرة وبطريقة درامية من خلال وعي إحدى الشخصيات، ولا يمتلك الراوي أية رؤية داخلية لما تفكر فيه الشخصيات أو تشعر به، ولعل هذا النوع من التبئير الداخلي هو ما بنيت عليه شخصيات رواية فريج المرر حيث تقدم لنا الشخصيات أولاً عن طريق الوصف الخارجي لها من قبل الراوي الذي لا يملك أي معرفة بهذه الشخصيات، التي صادفها في مجالس شرب القهوة بمقاهي سوق فريج المرر، فتكون معرفته بها سطحية وخارجية في بداية الأمر، ثم يقودها بعد ذلك عن طريق الحوار؛ لتكشف عن نفسها وعوالمها ومعاناتها، مما يشكل مفاجأة للراوي والقارئ معاً، فمعرفة الراوي إذن يستمدّها من خلال حديث الشخصيات عن نفسها وموقفها من الحياة.

وينقسم المنظور أو التبئير الداخلي إلى ثلاث أنماط: ثابت، ومتغير، ومتعدد. ولعل النمط الذي استخدمه

الروائي هنا هو النمط المتغير حيث قدم لنا الراوي (الطيب) نفسه، ورحلته إلى الإمارات بحثاً عن عمل ثم لقاءه بالصدفة بعباس الذي احتضنه وعزّفه بسوق فريج المرر، ووفر له عملاً ووظيفة، بعد أن حكى له كل شيء عن نفسه. فأصبحت شخصية عباس عارية أمام الراوي. ثم توالى الشخصيات في الكشف عن ذواتها أمام الراوي بدءاً بالفتاة الأرجوانية أيلسا ثم أستير ثم مجنون ليلي ثم بيتي ثم مجدي ثم جيمي ثم حمد المري.

إن الوقائع التي يتألف منها العالم التخيلي في سوق فريج المرر بدبي، لا يمكن أن يكون الكاتب قد هدف منها إلى الإخبار عنها في حد ذاتها، وإنما من منظور معين وانطلاقاً من وجهة نظر معينة. ففي الأدب لا نكون أبداً إزاء أحداث أو وقائع خام، وإنما إزاء أحداث تقدم لنا على نحو معين. فرؤيتان مختلفتان لواقعة واحدة تجعلان منهما رؤيتين متميزتين، ويتحدد كل مظهر من مظاهر موضوع واحد بحسب الرؤية التي تقدم لنا. كما يرى تود وروف.

ولعل أغلب هذه الحكايات في عالم الناظر التخيلي قد كشفت عن ضحايا ومعاناة فوق التصور، تتخفى وراء سلوك مصنوع الهدف منه جمع ما يمكن جمعه من مال لمعالجة مريض أو تربية طفل أو... وبحثاً عن الأمان والاستقرار. مما يجعل القارئ وهو يتابع تخلق هذه الشخصيات التي تواجهه لأول مرة في سوق فريج المرر، هذه السوق التي تمثل مجتمع قاع المدينة، والذي أكثر ما يميزه المقاهي التي تديرها مجموعة من النساء الحبشيات ويقدمن فيها القهوة بطقوسها الحبشية. مما يجعل القارئ أكثر تعاطفاً معها. ثم يصف الكاتب المكان بكل تفاصيله التي تدل على الثقافة الحبشية وتاريخها: من ديكور ولوحات ورسوم وأغاني و... إلخ.

إشارة أخيرة إن هذه الرواية تميزت بأنها جرت أحداثها في بيئة الإمارات محاولة أن تبوح بكثير من الخفايا والأسرار والممارسات المسكوت عنها. ونظرة العربي الخليجي للأفارقة، وخاصة النساء الحبشيات اللائي يعملن كخدمات. ولعل هناك بعض التناص مع رواية (عربة الأموات) لمنصور الصويم التي قدمت عالما غامضا أيضا في بيئة سعودية، وقد التقى الكاتبان في وصف بشاعة مصائر شخصياتهم الأفريقية سواء كانت من الحبشة أو السودان وأن الهروب كان إحدى الوسائل لوضع نهايات لتلك العذابات.

خاتمة:

استطاعت هذه الرواية عبر لغتها البسيطة وأسلوبها السهل الممتنع، وآلياتها السردية المرتبطة بالسرد والوصف والحوار، وبما فيها من تقنيات سردية حديثة أن تحقق إمتاعا مدهشا، وأن تقدم عالما واقعيًا بشعا مليئا بالمآسي والدموع والأشلاء في المهاجر العربية، في محاولة من الكاتب لتمثيل الثنائية القائمة بين واقع الشخصيات وطموحاتها. هذا الواقع الأليم ومحاولة الحلم بعالم أكثر رحابة وأكثر أمانا واستقرارا واحتراما لإنسانية الإنسان. ولكن هيهات. كما استطاعت أن تقدم لنا تجربة سردية ناضجة ومميزة تدل على اقتدار. وعلى أن الرواية السودانية قد تحمل عبأها جيل جديد من أمثال الناظر، قادر على لفت الانتباه لها، والانطلاق بها من آفاق المحلية إلى رحاب العالمية.